

القرآن أن يجمع معاني عدة بلفظ واحد يتحملها^(١).

إذاً فالبالغ بالقرآن ينذر به وذلك بعد بلوغه وبلوغ القرآن إليه، والبالغ عقل التكليف ينذر به، والبالغ إليه القرآن وهو بالغ منذر به فمُنذر به، فلا بدّ من حمل القرآن لحدّ البلوغ به، ثم إبلاغه إلى كلّ من يعقل عنه.

صحيح أن الرسول ﷺ هو الصادق الأول لهذا البلاغ المبين، ولكن الإنذار بالقرآن لا ينحصر فيه وفي المعصومين من أهل بيته الكرام ﷺ، لأنه يحمل دعوة عالمية تشمل الطول التاريخي والعرض الجغرافي.

ذلك و«كم» في ﴿لَا تُذَكِّرْكُمْ﴾ تعني مع الحاضرين زمن الخطاب كلّ

(١) و«بلغ» فاعلاً ومفعولاً لازماً ومتعدياً تعني المعاني التالية: من بلغ مثلي، أم تلى تلوي، من بلغ مبلغ العقل وبلغه القرآن ثم بلغ بالقرآن، فشرط الإنذار بالقرآن هو البلوغ به مبلغ الرسول ﷺ قدر المستطاع، وشرط المنذر بلوغ حد التكليف، فهنا احتمالات في جملتي هذه الجملة، الصالحة منها معنية وغيرها غيرها.

ف«كم» قد تعني خطاب الحاضرين من أم القرى، أم كافة المكلفين ممن حولها، و«بلغ» عطفاً على المفعول قد تعني بلوغ المعرفة وجاء قوم لد في الوجه الأول من الخطاب، فهم البالغون مختلف مدارج العقل والعلم والمعرفة، ما بلغوا، لمحة إلى أن القرآن لا يغتنم المجاهيل لأنهم يقبلونه بجهلهم، بل من بلغ ما بلغ.

و«بلغ» اللازمة في هذا الاحتمال قد تعني معه بلوغ عقل التكليف، وبلوغ حالة التقبل للحق، ثم هي المتعدية «بلغه» بين بلوغ نبي القرآن إليه، أو بلوغه نفسه إليه، أو بلوغه - إذاً - بذلك البلوغ، وهذه احتمالات ست في الأولين تصيح اثني عشر.

ثم «بلغ» عطفاً على الفاعل قد تعني نفس الاحتمالات الستة فهي مضروبة على الأولين اثني عشر آخر فالمجموع أربعة وعشرون.

وفي تقسيم آخر «من بلغ» فاعل أو مفعول والمفعول إما مفعول له أو بواسطة الجار بلغ إليه - فيه - به - وأما بلوغ الفطرة أو العقل أو العلم أو المعرفة أو بالقرآن وهي مضروبة على وجهي «كم» خمسون، وقد تعني «كم» في «لَا تُذَكِّرْكُمْ» هؤلاء القوم اللدّ المجاهيل، ولكيلا يظن اختصاص الدعوة القرآنية بهؤلاء المنحطين ثنائهم بـ «من بلغ» عقلياً وعلمياً مهما كان علياً غالباً ولا على قمم العصمة البشرية فطرية وعقلية وعلمية.

ف«من بلغ» في احتمالات كثيرة على وجهي الفاعلية والمفعولية وعلى وجهي اللزوم والتعدية، بلوغاً في نفسه في أية مرحلة من درجاته وبلوغاً إليه وبلوغاً به.

المكلفين في وجهي الخطاب، فإن ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ في وجه الفاعلية تجعل «كم» هم المنذرين ككل، وهي في وجه المفعولية تخص الحاضرين، فإنها من بلغه القرآن وهو بالغ لحمل التكليف بالقرآن.

كما وإن ﴿بَلَغَ﴾ تعني وجهي اللزوم والتعدي، ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ في نفسه و«من بلغه» وحي القرآن، ووجه اللزوم ألزم فإنه أعم فهو أتم.

والدعوة الإسلامية تتمحور القرآن لمكان آيات التذكير والإنذار بالقرآن و﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١) و﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢) وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ^(٣) ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾^(٤) ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾^(٥) ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾^(٦) ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٧) ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً...﴾^(٨) ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾^(٩)، ذلك ولا نجد حتى لمحة في القرآن لسماح الدعوة بغير القرآن إلا طاعة للرسول وأولي الأمر لتفهّم القرآن فيما عضل من تأويل تطبيق القرآن.

وهكذا نسمع آيات الإنذار أنها تخصه بالقرآن أو بالوحي الشامل للسنة كهامش ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾^(٩).

ومن لطيف الوفاق بين القرآن والإسلام والوحي والملائكة ويوم القيامة

- | | |
|----------------------------------|-------------------------------|
| (١) سورة الإسراء، الآية: ٩. | (٦) سورة إبراهيم، الآية: ١. |
| (٢) سورة النمل، الآيتان: ٩١، ٩٢. | (٧) سورة النحل، الآية: ٨٩. |
| (٣) سورة ق، الآية: ٤٥. | (٨) سورة العنكبوت، الآية: ٥١. |
| (٤) سورة النساء، الآية: ١٠٥. | (٩) سورة الأنبياء، الآية: ٤٥. |
| (٥) سورة الأعراف، الآية: ١٧٠. | |

أن ذُكر كلُّ (٧٠) مرة مما يلّمح كأن القرآن هو الوحي كلّهُ والإسلام كلّهُ، الذي يحمله الملائكة، ثم يظهر يوم القيامة كما لمحت آية الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى...﴾^(١) حيث اختص الوحي من بين الخمس بوحي القرآن.

فعدم البلوغ بالقرآن ذنب، وعدم إبلاغه ذنب على ذنب، فإن كتاب الدعوة لا ينتشر إلا بحملته البالغين به وكما أمر الرسول ﷺ: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾^(٢) ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾^(٣).

وترى كيف يبلغ القرآن العربي إلى من لا يعرف لغته؟ والجواب أن التبليغ بكلّ لغة واجبٌ حملته البالغين به ترجمة له صالحةً وترجماناً صالحاً. وليس من المفروض في كتاب الوحي الداعي أن ينزل بكلّ لسان، وإنما الدعوة والبلاغ بكلّ لسان هو واجب المنذرين به، كما وأن تفهمه بكلّ لغة هو واجب المنذرين به.

وهنا نتأكد واجب السيادة القرآنية في لغته كما في أصله، فعلى المسلمين به ككلّ أن يحملوا لغته جاداً صالحاً، ثم يحملوه بكلّ لغة بلاغاً لأهلها ككلّ.

ف ﴿وَمَنْ بَلَغْ﴾ في كلّ حقوله لا يخلو عن منذرٍ به ومنذرٍ به، فمن لم يبلغه القرآن بلغته غير العربي فإنما إثمهُ على حملة القرآن الذين لم يبلغوه بلغته، كما أن من بلغه بلغة عربيةً وسواه ولم تبلغه معانيه الحقّة ومغازيه فإثمهُ على من لم يبينه، ثم الذين لم يبلغهم وهم عارفون بحجته أم علّه من الله هم شركاء مع سائر المقصرين في الإثم.

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٢) سورة ق، الآية: ٤٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٠.

إذا مسؤولية بلوغ القرآن ليس فقط على عواتق حملته، بل والذين يعرفون وحيه أو يحتملون ثم لا يفحصون عن بالغة حجته وحالقة محجته.

فالمتحري عن الحق أياً كان عليه التحري عن بالغ حجة القرآن بكلّ الإمكانات المستطاعة له، كما على حملة القرآن أن يبلغوه إلى كل من بلغ ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١).

﴿أَيُّكُمْ لَشَّهَدُونَ أَتَىٰ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ﴾ شهادة أنفسية: بالوجدان فطرة أو عقلية أو علمية، أو آفاقية، أم بوحى من الله؟ وكل هذه منفية تدل الآيات الآفاقية والأنفسية على خلاف هذه الشهادة الكاذبة، إضافة إلى شهادة الله بذاته وبكتابه على وحدته.

﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾ بأية شهادة ﴿أَتَىٰ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ على ضوء كافة الشهادات الصالحة الصادقة ﴿وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

هنا ﴿لَا أَشْهَدُ﴾ دليل عدم الشريك لله وحيّاً، إضافة إلى سائر الأدلة، لأن الموحى إليه شاهد قبل كل شيء كيان الربوبية للموحي وإلا فكيف يرسل من عنده، فكما «لا يعلم» هي من الله دليل عدم المعلوم عن بكرته لأنه يحيط علمه بكل شيء: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢) كذلك ﴿لَا أَشْهَدُ﴾ هي من رسول الله ﷺ دليل على عدم وجود المشهود عن بكرته، «واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ورأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنه إله واحد كما وصف نفسه لا يضاده في ملكه أحد ولا يزول أبداً»^(٣).

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤٩.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٨.

(٣) نهج البلاغة عن الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام.

ثم من يقول: «إني أقول إن صانع العالم اثنان فما الدليل على أنه واحد - يقال له: - قولك إنه اثنان دليل على أنه واحد لأنك لم تدع الثاني إلا بعد إثباتك الواحد فالواحد مجتمع عليه والثاني مختلف فيه»^(١).

ذلك طرف طريف عريف من شهادة الله لهذه الرسالة السامية، ومن ثم ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ مدى معرفتهم بوحى الكتاب، حيث الوحي نمط واحد مهما تفاضلت الدرجات، كما الرسل والرسالات درجات، كما وأن هذه الكتب تحمل له شهادات:

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢):

هذه والتي في البقرة: ﴿... وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣) شهادة كتابية ذات بُعْدَيْنِ على هذه الرسالة السامية، فصلناها هناك فلا نعيد. فكما أن الله شهيد للرسول بنفس الرسول وقرآنه المبين و﴿يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾^(٤) كذلك هو شاهد بسائر كتاباته بطبيعة وحيها والبشائر التي تضمها. إذاً فهو مشحون بمثلث الشهادة الصادقة القاطعة القاصعة في هندسة الرسالة الختمية ولا ينبئك مثل خبير^(٥).

(١) نور الثقلين ١: ٧٠٧ في كتاب التوحيد بإسناده إلى الفضل بن شاذان قال: سأل رجل من الثنوية أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام وأنا حاضر فقال: «إني أقول: ... فقال: قولك:»...

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٦.

(٣) سورة هود، الآية: ١٧.

(٤) نور الثقلين ١: ٧٠٨ عن تفسير القمي عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى يقول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ [البقرة: ١٤٦] يعني رسول الله ﷺ: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] لأن الله ﷻ قد أنزل عليهم في التوراة والإنجيل والزيور صفة محمد ﷺ وصفة أصحابه ومبعثه ومهاجره وهو قوله تعالى: =

ف ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ فقداناً لنفسياتها العاقلة وفطرياتها الكاملة، ومعرفتها الشاملة، فلم يفتقدوها لمّا فقدوها ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بهذا الرسول ﷺ قضية المتاركة لأثافي الإيمان ودلالاته.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢١):

أجل إنه لا أظلم ممن افترى على الله كذباً كما افترى من أهل الكتاب على الله أنه ختم بكتبهم الوحي وما أشبه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ رسالية ورسولية كما كذبوا بآيات الرسالة المحمدية في كتبهم وفيه نفسه وفي كتابه الذي كلّه آيات رسالته فإنه آيته الخالدة.

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ مهما أبرقوا وعربدوا وحاولوا كل المحاولات لكل الحيل الحائلة بين آيات الله وبيناته ورسالته المدلول عليها بها.

وهنا ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ يعرف بالبعض ممن لا أظلم منهم، ومنهم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ (١) ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسَى﴾ (٢) ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْمُي فِي خَرَابِهَا﴾ (٣).

= ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ...﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُ فِي الْإِنْجِيلِ...﴾ [الفتح: ٢٩] فهذه صفة رسول الله ﷺ في التوراة والإنجيل وصفة أصحابه فلما بعثه الله ﷻ عرفه أهل الكتاب كما قال جلّ جلاله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩]. وفي تفسير البرهان ١: ٥٢٠ قال علي بن إبراهيم: إن عمر بن الخطاب قال لعبد الله بن سلام: هل تعرفون محمداً ﷺ في كتابكم؟ قال: نعم والله نعرفه بالنعته الذي نعته الله لنا إذا رأيناه فيكم كما يعرف أحدنا ابنه إذا رآه مع الغلمان والذي يحلف به ابن سلام لأننا بمحمد هذا أشد معرفة مني بابني قال الله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢].

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٠.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٤.

ذلك، وهذه الثلاث أيضاً راجعة إلى افتراء الكذب على الله والتكذيب بآيات الله، وهذه من محادة الله ومشاقته تعالى مهما كانت دركات كما الإيمان به درجات.

والظلم - في ثالوثه مادة وحالة للظالم ومحتداً للمظلوم - دركات أسفلها ظلم المفترى على الله كذباً أو تكذيباً بآياته، وليس هنا الله هو المظلوم المنتقص، إنما الحق وآيات الحق هي المظلومة، حيث الظلم هو الانتقاص ولا ينتقص عن الله شيء، فقد ظلموا أنفسهم بما ظلموا آيات الحق المبين!.

ذلك ومن افترائهم الكذب على الله أنه اتخذ لنفسه شريكاً أو شركاء، وأمرهم أن يعبدوها من دون الله، ويتخذوها شفعاء عند الله، وأنه لم يوح بشيء إلى أحد، وأن الملائكة بنات الله، وأنه أحل ما أحلوه وحرم ما حرموه افتراء الكذب على الله، وأنه أمر بالفاحشة، ثم ولا يعذب اليهود والنصارى لأنهم أبناء الله وأحباءه!.

ومن تكذيبهم بآيات الله تكذيب الآيات الرسولية والرسالية، وتكذيب الآيات التي تحمل بشارات بحق محمد ﷺ وما أشير من سائر الآيات.

فقد ظلموا آيات الله وظلموا ناصع الحق حين افتروا الكذب على الله، فحين يعذبهم الله بما ظلموا ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١) لأن ظلمهم - أي كان - راجع إلى أنفسهم وهم لا يفلحون وصولاً إلى بغيتهم اللئيمة، وهي واقع الظلم الانتقاص في افترائهم على الله وتكذيبهم بآيات الله، فقد ظلموا بما ظلموا أنفسهم ولم ينتقصوا من الله ولا من آياته.

فلا أن الله يُنتقص بظلمهم في فريتهم عليه، لا في ذاته ولا في صفاته

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٧.

أو أفعاله، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) ولا أن آيات الله تنتقص في واقعها الدلالي على الله، اللهم إلا تغطية إياها على أنفسهم وأنفس الضعفاء والمستضعفين، فهم - على أية حال - لا يُفلحون ويُفلجون، بل ويُفلجون ولا ينجون.

فكما الظلم في نفسه هو أقبح الأمور، ولا عصيان ولا تخلف إلا وهو ظلم، كذلك الافتراء الكذب على الله والتكذيب بآياته هو من أظلم الظلم ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

فلا عبرة بما تراه العيون القاصرة المائرة في قريب الأمد فلاحاً للظالمين ونجاحاً، فإنه الاستدراج المؤدي إلى خسارة أخسر وبوار أبور ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(٢).

﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(٣):

﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ من موحيدين ومشركين ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أيّاً كان إشراكهم في ثالوثه، عبادة أوثان وطواغيت، أم انحرافاً ثنوياً أو ثالوثياً وما أشبه عن التوحيد، أم انحرافاً عن إسلام التوحيد كملامح الشرك في المسلمين في فلسفاتهم وعرفاناتهم المتحللة عن الوحي.

ذلك، ولكن مَصْبُ السُّؤال التنديد هنا - كأصل - هو رأس زاوية الإشراك، ف ﴿نَقُولُ﴾ لهم ﴿آيِنَ شُرَكَائِكُمْ﴾ دون شركائي، فإنهم مختلقون من عند أنفسهم دون رباط لهم بالله، أين هم حيث ﴿كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ولا بدّ لهم أن يكونوا أبرز أهل الحشر، سواء أكانوا من الآلهة الأصول كما الله! أم

(١) سورة يوسف، الآية: ٢١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٧.

الشفعاء، - على زعمهم - عند الله، فكيف تضل الآلهة الشفعاء أو المحاسبون كأصول الألوهة عن محشر الحساب؟.

وترى ﴿أَيْنَ شُرَكَائِكُمْ﴾ استحالة لبروز شركائهم هناك؟ ولا بد من بروزهم لمشاهدة ذلك الحوار البوار! استفهام الإنكار هنا مُنصَّبٌ على كيان الشركاء دون كونهم كخلق من خلق الله: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ﴾ (١) ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ (٢) لذلك وقد زُيِّلَ بينهم وزالت عنهم ألوهتهم المزعومة: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ (٣).

وهل تحشر - مع سائر أهل المحشر - الشركاء غير العاقلة كالجمادات؟ ولماذا! إنها تحشر للمقابلة، بل وتحرق حرقاً قلوباً عابديها ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ (٩٨) لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ إِلَهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٩٩) (٤).

وترى هل لهم من فتنة أمام ذلك الاستجواب الحاسم القاصم؟:

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (٢٣) أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٢٤):

هنا هم ﴿كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ وكذلك شركاءهم ﴿وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ (٥)! تكاذب وتسالب في استجواب ﴿وَلَا تَحِثُّ مَتَايَ﴾ وقد فات يوم خلاص.

(١) سورة النحل، الآية: ٨٦.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٨.

(٣) سورة القصص، الآية: ٦٤.

(٤) سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٩، ٩٩.

(٥) سورة يونس، الآية: ٢٨.

إن يوم القيامة مواقف لكلٍّ حكمه دون تضاد ومنها «ثم يجتمعون في مواطن أخرى فيُستنطقون فيه فيقولون ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فيختم الله تبارك وتعالى على أفواههم ويستنطق الأيدي والأرجل والجلود فتشهد بكلِّ معصية كانت منهم ثم يرفع عن ألسنتهم الختم فيقولون لجلودهم لِمَ شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كلَّ شيء»^(١).

وترى كيف يكذبون على أنفسهم وهو في العمق كذبٌ على الله في استجوابهم قضية شركهم؟ وذلك يوم ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾^(٢) ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْنِدُونَ﴾^(٣) ! إنهم في ذلك الموقف يتكلمون بكذبهم حيث هم مأذونون فضحاً لهم بما يكذبون ف «إن الله يعفو يوم القيامة عفواً لا يخطر على بال حتى يقول أهل الشرك: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾»^(٤).

(١) نور الثقلين ١ : ٧٠٨ في كتاب التوحيد عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل يذكر فيه أحوال أهل المحشر وفيه .

(٢) سورة النبأ ، الآية : ٣٨ .

(٣) سورة النازعات ، الآية : ٣٦ .

(٤) المصدر عن تفسير العياشي عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إن الله يعفو» . . . وفي تفسير البرهان ١ : ٥٢٠ عن تفسير العياشي عن أبي معمر السعدي قال : أتى علياً عليه السلام رجل فقال : يا أمير المؤمنين إني شككت في كتاب الله المنزل فقال علي عليه السلام : ثكلتك أمك وكيف شككت في كتاب الله المنزل؟ فقال له الرجل : إني وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضاً وينقض بعضه بعضاً؟ فقال : هات الذي شككت فيه فقال : لأن الله يقول : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبي : ٣٨] ويقول حيث استنطقوا قال الله : ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام : ٢٣] ويقول : ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ [العنكبوت : ٢٥] ويقول لا : ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاضِعُ أَهْلُ النَّارِ﴾ [ص : ٦٤] ويقول : ﴿لَا تَخْصِمُوا لَدَيْ﴾ [ق : ٢٨] ويقول : ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس : ٦٥] .

فمرة يتكلمون ومرة لا يتكلمون ومرة ينطق الجلود والأيدي والأرجل ومرة لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ، قال : فأني ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال له علي عليه السلام : إن ذلك =